قراءة لعمل بودوان دي كورتيني خلال حلقة قزان

Reading of Baudouin de Cortini's work during the Kazan episode

د. مهاجي فايزة*، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، (الجزائر)

mahadji22@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/05/15 تاريخ القبول: 2022/06/03 تاريخ النّشر: 2022/06/05

ملخّـــص

إنَ مدرسة «قزان» تدين بوجودها إلى التقاليد قبل كل شيء، إذا تحدثنا عن مدرسة علمية فهذا يقصد به عادة اتحاد في المبادئ العلمية والاستقلالية في تطوّرها. أشار مؤسّس مدرسة «قزان اللسانية» «بودوان دي كورتيني» إلى أنَ مبادئه لم يقاسمها كل تلامذته، فالبعض منهم لم تحقق بإتقان أيَ تطوّر على المستوى النظري وظلوا من التلاميذ غير النشطتن ومثل هذه الجماعة من اللسانيتن جماعة من الباحثتن منهم خاصة «كروشفسكي» «وبورودیستكي». ولكن جهود هؤلاء التلاميذ الموهوبتن «لبودوان» اختلفت إلى درجة أننا لا نستطيع اعتبارهم شركاء في الرأي لأستاذهم، ما عدا هذا لم تكن لديهم ما يسمى بأتباع لتأسيس «مدرسة» وذلك لعدم حصولهم على الاستقلالية في تطوير أفكارهم. ولهذا استعمل «دي كورتيني» تسمية «مدرسة قزان اللسانية» بتن مزدوجتن.

الكلمات المفتاحية: حلقة قزان؛ بودوان دي كورتيني؛ علم الأصوات الوظيفي.

Abstract

The Kazan school owes its existence to tradition above all else. If we talk about a scientific school, it usually means a union of scientific principles and independence in its development. The founder of the Kazan Linguistic School, Baudouin de Courteigny, pointed out that his principles were not shared by all his students. «. But the efforts of these talented students of «Beaudouin» differed to such an extent that we cannot consider them as partners in opinion of their teacher, except that they had no so-called followers to establish a «school» because they did not have the independence in developing their ideas. That is why De Cortini used the name "Kazan Linguistic School" between two doubles.

Keywords: Kazan Circle; Baudouin de Courteney; Phonology.

* المؤلّف المرسِـــل

مقدمـــــة:

يظهر أنّ للإنسان تميّز عن بقية الكائنات الحية بميزتين هما: العقل والمنطق، حيث كرّم الله سبحانه وتعالى أبا البشرية آدم بالعقل وعلّمه الأسماء كلّها وكانت ملكته العقلية هي التي تقف خلف ملكته اللغوية، وهاتان الميزتان هما اللتان جعلتا الإنسان يشعر بخاصية التميّز عن سائر هذه الكائنات من حوله.

من هذا المنطلق وجد الإنسان نفسه يفكّر باللغة، من أين أتت؟ ولماذا خُصَّ بها دون غيره من المخلوقات؟، وما هي لغة آدم الأولى التي ظهر بها على سطح الأرض؟.

الإجابات مختلفة ومتعدّدة باختلاف الشعوب وتعدّدها، فقد قال العرب إنّ اللّغة الأولى هي العربية، وقال الفرس إنّها الفارسية، وقال اليونانيون إنّها اليونانية، ولكن وجهات النظر هذه تبقى مجرد أقوالا شعبية لا تستند إلى أسس علمية ، لذلك نشأ ما يسمى بعلم اللّغة الشعبي الذي يمثّل وجهات نظر تخمينية وآراء بدائية عن أصل اللغة ونشأتها.

نرى أنّ الإنسان البدائي كان يفكّر في كلّ ما يحيط به، بما في ذلك اللغة، وهذا أمر طبيعي ناتج عن دافع فضوله الإنساني في حبّه للاستطلاع، و«منذ خلق اللسان خلقت الأصوات، وهي مادة اللغة... وعلى هذا الأساس رجع العلماء إلى طفولة التاريخ، فمنهم من رأى أنّ الإنسان كان محاطا بالسكوت المطلق، فذهب إلى أنّ اللغة وحي، وتوفيق من الله في الوضع، أو في الموضوع، وهو مذهب أفلاطون من القدماء، به أخذ ابن فارس، والأشعري، وأتباعه من علماء العرب.»[1]

لم يتوقّف مجتمع العلماء على هذا الاتّجاه، بل اتّخذ طريقا من العلماء اتجاها آخر، دعاهم إلى تبنّي نظرة في «أنّ الإنسان طفل تاريخي، فاللغة درس تقليدي طويل، مداره على التواطؤ، والاصطلاح، وهذا هو المذهب الوضعي، وبه قال «ديودورس»، و«شيشرون»، وإليه ذهب «أبو على الفارسي»، وتلميذه «ابن جني»، وطائفة من المعتزلة.»[2]

أدّى هذا الاختلاف إلى نشوء علوم في بعض مجالات الظواهر الطبيعية المحيطة بالمجتمع، لتلك الحضارات القديمة، وكان سبب نشأة هذه العلوم هو الوعي بالذات الناتج عن ملكته العقلية التي استدعت التّفكير.

بالجملة فإنّ مجالات التّفكير الموسعة دعت إلى ظهور علوم نشأت قديما، ومن هذه العلوم علم اللغة، فعلم اللغة أو اللسانيات الحديثة هي نتاج الماضي وتشكّلات المادة المستقبلية، وعلى هذا الأساس فإنّ العلماء في كل جيل لا يبدأون من الصفر

،وإنّما ينطلقون من النقطة التي توقّف عندها القدماء، وبالتالي فإنّ العملية ما هي إلّا عمل تراكمي تقدّمي.

1. نشأة اللّغة:

إنّ بدأ اكتمال الظهور كان نتيجة العناية الإنسانية باللغة، وهذا عندما شعر بأهميتها كونها أداة تواصل تميزه عن غيره، ومن ثم تستطيع أنْ تخلّد فكرة وتحفظ آثاره.

الاهتمام باللّغة كان في كثير من أماكن العالم القديم لتلك الحضارات القديمة في الهند واليونان وبلاد الرافدين وبلاد الشام، إلّا أنّ الطابع السائد تاريخيا هو أنّ تواصل الحضارات عن طريق الحروب أو المعاهدات أو غيرها، فعلا كان العامل القوي في اعتناء كل جهة من تلك الأماكن المتحضّرة أنْ يغتني بنصيب شاسع من علم اللغة.

1.1. الجهود اللغوية عند الهنود:

إنّ بظهور الدّراسات اللّغوية جعل موطن الهند يعدّ كونه موطنا لميلاد علم اللغة، إذْ ظهر فيها الاهتمام بعلم اللغة أو بدراسة اللغة، وذلك راجع لغايات وأسباب عملية نفعية تطبيقية ، لأنّ اللّغة الهندية القديمة (السنسكريتية) هي لغة النصوص الدينية المقدسة التي تسمى بنصوص (الفيد) نصوص الديانة البوذية، «علما بأنّ هذه النّصوص التي تناقلها النّاس بطريقة شفويّة قد انحدرت من المرحلة الفيدية حوالي 1200 ق.م، ثم طرأت عليها عدّة تغيّرات عبر العصور المتتالية أدّت إلى بروز لهجات تختلف عن اللغة الأولى، دفع النّحاة الهنود إلى إدارة اللّغة بشكل عام والأصوات بشكل خاص لتمكين أهل هذه العقيدة من الفهم والنطق الصحيحين للكتب المقدّسة في الطّقوس والشّعائر.»[3]

2.1. الجهود اللغوية عند الإغريق:

انشغل الإغريق بقضايا علم اللّغة وكان ذلك بارزا في المناقشات الفلسفية، واعتمدوا في هذا على الوظائف المعرفية والفلسفية و التربوية والخطابية، وتركت هذه النظرة الفلسفية إلى اللغة أثرا واضحا في القضايا المدروسة لا سيّما في العلاقة بين الكلمة والمعنى أو بين الأشياء ومسمّياتها ، و«قد لعبت العبقرية الإغريقية دورا عظيما في بناء الحضارة الإنسانية الحديثة. ويرجع كثير من الباحثين هذه العبقرية الفذة إلى درجة الوعي وحريّة الفكر اللذين لم يسبق للعالم أنْ شهد مثلهما من قبل وجدير بالذكر أنّ الحضارة الغربية التي نعرفها اليوم كانت قد بدأت على أيدي المفكرين الإغريق الذين كانوا روادا في الفكر الفلسفي واللغوي و الاجتماعي والأدبي والسياسي والأخلاقي.»[4]

3.1. الجهود اللغوية عند الرومان:

لم يكن الرومان بمنأى عن الإغريق في مسالكهم في النّظرية اللّغوية، فقد كانوا تلامذة للإغريق وطبّقوا نظام قواعديّ الإسكندرية على اللغة اللاتينية،«نجدها هي في العهد الروماني والقرون الوسطى وحتى عصر النهضة باستثناء بعض الإضافات الطفيفة أو الشروح الوافية، واستمرت الدراسات على هذه الحال حتّى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي مع بداية اللسانيات التاريخية والمقارنة.»[5]

إلّا أنّ اللّغويين الرّومان اهتمّوا بالبلاغة وأدخلوا في أقسام الكلام أسلوب النداء، وقام (بولي تسيزار) بإضافة بعض الجوانب الإعرابية غير الموجودة في اليونانية.

4.1. الجهود اللغوية العربية:

إنّ لكتاب «سيبويه» ظهور جلي في النّحو العربي، فكان محيطا بكافة نواحي علوم العربية، (النحو ، الصرف، البلاغة، واللغة والأصوات)، قد لا يفوتنا وأنْ نتساءل: ألم تكن هناك بدايات ومقدّمات لكتاب سيبويه؟.

كان لكتاب «سيبويه» بدايات، حيث أنّها لم تكن مدوّنة، فكان الذي قبله من اللغويين يذهبون إلى الصحراء لينالوا اللغة عن الأعراب الفصحاء، ولكنهم لم يكونوا يدوّنون ما يجمعون، وربما ألّف بعضهم شيئا عن ذلك دون أنْ يصلنا شيء من أثر يذكر.

«ثمّ لما اتّسعت العربية وفشا اللّحن وفسُد الكلام وجعل الناس يبغونها عوجا، وذلك في أواخر القرن الثاني، وخرج الرّواة إلى البادية ينقلون عن العرب ويتحقّقون معاني العربية وأبوابها ـ تهيّأت أسباب المعنى اللغوي، وصارت اللغة لغتين : العربية، والمولّدة، بل صارت العربية نفسها كأنّها في الاعتبار العلمي لغتان، بما قام بين البصريين والكوفيين، وتحقّق لكلتا الطائفتين مذاهب متميّزة، فمن ثَمّ وجد الناس السبيل إلى تسمية ما يؤخذ عن العرب (باللغة).»[6]

من جملة ما تفنّن فيه العرب المعاجم، فرُتّب العين بحسب مخارج الحروف، ورتّب غيره بحسب التّقاليب، وأخرى رتّبت حسب أوائل الكلمات أو أواخرها، وأخرى رتّبت بحسب المعاني، كفقه اللغة «للثعالبي»، والمخصّص «لابن سيده»، «ولما وضع الخليل بن أحمد كتاب العين الذي رتّب فيه كلام العرب وضع به علم اللغة، وتمّت هذه الكلمة على الناس بما صنع.»[7]

أمّا فيما تعلّق بنظرية الحقول الدلالية التي قال بها اللغويون في العصر الحديث، حين لجأوا إلى تقسيم كلمات أية لغة إلى مجالات وحقول نجد قد طبّقها

قبلهم «ابن سيده» في معجمه في القـــــرن الخامس الهجري، أي قبل ظهورها في القرن العشرين بقرون.

2. اللسانيات البنيوية:

هي نظرية تطبّق المنهج الوصفي في دراسة اللغة، فينظر إليها على أنها وحدات صوتية تتجمّع لتكوّن وحدات مورفولوجية (صرفية لِتُكوّن هذه بدورها عبارات وتراكيب وجملا)، «إنّ موضوع اللسانيات الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها.»[8]

ثَمّ ظهور رواد البنيوية في أماكن متفرّقة في أوائل القرن التاسع عشر، لكن جهودهم كانت مبعثرة، ولم تحظ بالاهتمام عند معاصريهم حتى ظهر «فرديناند دي سوسير» الذي ينظر إليه على أنه مؤسّس اللسانيات البنيوية، وتتلخّص المقولات اللسانية عند دي سوسير فيما يلي:

* اللغة نظام: إنها نسق كلي ينظر إليها خلال مكانها من النظام.

* اللغة ظاهرة اجتماعية ، وظيفتها التواصل والتفاهم المتبادل، والارتباط بين الصوت والمعنى الذي يتولّد في العقل.

والعلامة اللغوية اعتباطية، والتطوّر التاريخي والحالة الراهنة للغة ظاهرتان مختلفتان، ولكلّ حالة منهج تدرس به اللغة، «اللغة كنز اجتماعي من الوحدات والقوانين يمثّل نظاما عاما لا يمكن للفرد أنْ يحيد عنه، فإذا طلبنا من أيّ إنسان متعلّم أنْ يصرّف الفعل (كتب) مع جميع الضمائر في الماضي أو المضارع، فإنّه يحاول جاهدا أنّ يتّبع قواعد التّصريف المتعارف عليها دون إلحاق أي تغيير بالنظام العام. لذا فإنّ موضوع اللسانيات هو اللغة بكل جوانبها النحوية والصوتية والمعجمية المرتسمة في عقول جميع الناس.»[9]

3. البنيوية الأوروبية: يتم تقسيمها إلى ثلاث مدارس:

1.3. مدرسة جنيف:

هي ذاتها المدرسة البنيوية ورائدها «دوسوسير» ومن أساسياتها: التفريق بين اللغة والكلام، وأنها تعدّ اللغة نظاما، والعلاقة بين الدال والمدلول عرفية، مواضعة، وكذلك العلاقة بين الدال والمدلول علاقة رمزية، وعلم اللغة جزء من علم أشمل وأعمّ هو علم السيميولوجيا، ومدرسة جنيف قامت على «عدم خروجها عن مفاهيم سوسير فيما يتعلق بـ: اللغة نظام قائم بذاته، نظام من العلامات، الدراسة اللغوية دياكرونيا وسانكرونيا.»[10]

مما رآه اللغوي الفرنسي « جورج مونان» «Georges Mounin» أن «بودوان دي كورتيني» «Jan Niecislaw Baudouin courtenay» هو الأب الحقيقي لعلم اللغة البنيوي، وأنه هو الذي أرسى دعائم التحليل الفونولوجي، مقابل التحليـــــــــل الصوتي المجرّد، و هو مؤسّس مدرسة كازان اللغوية التي استمدّ منها دي سوسير أصول التحليل الفونولوجي. [11]

2.3. مدرسة براغ:

يطلق عليها اللسانيات الوظيفية كونها تهتم بالطريقة التي تؤدي بها الوحدة الصوتية وظيفتها، كما يطلق عليها تسمية (المدرسة الفونولوجية) لاهتمام أنصارها بالفونولوجيا، حيث عرف أنصارها بالاعتدال وعدم التطرّف، والابتعاد عن التجريد في اللغة، كما أنهم لم يهملوا المعنى كما فعل «ليونارد بلو مفيلد. و «أنّ لمدرسة براغ اللغوية يدا في تقعيد النظرية الحديثة، وخاصة في الناحية الفونولوجية كما وجّه إسهامها، أنظار علماء اللغة إلى ميادين من البحث اللغوي التي لم تظهر آثارها إلا بعد فترة من الزمن والمتمثلة في: ــ دراسة الوظيفة الحقيقية للغة، خاصة بالاتصال ــ دراسة العلاقة التي تربط البنية اللغوية بالأفكار والعواطف.»[12]

3.3. مدرسة الغلوسيمية (كوبنهاجن):

لها ميل كبير إلى التجريد والتحليل المنطقي باستخدام الطرق الرياضية، وهي مدينة لتعاليم «دي سوسير» والمنطق الرّمزي، و من أهم روّاد هذه المدرسة اللغوي الدانماركي «لويس هيمسليف»، وهي «اسم مشتق من اليونانية، جاء من لفظ «Gloss» ويعني اللسان أو اللغة بحيث اعتمد فيها على أصول رياضية صورية عبّر عنها بمصطلحات خاصة.»[13]

كانت ترتكز مدرسة كوبنهاجن على مبدأ اللغة شكلاس وليست مادة، واللغات تشترك في كونها «تعبير ثم محتوى»[14]، «فلا أحدهما يعبّر ولا الآخر يدلّ ولا العكس، فالتعريف الصحيح لهما هو أن أحدهما لا يعرف إلا بالآخر، فالذي يربطهما بناء على هذا التعريف هو العلاقة التبادلية.»[15]

4. المدرسة البنيوية الأمريكية:

تأسّست على يد عديد من اللغويين، منهم «ليونارد بلو مفيلد». كانت تتميّز المدرسة البنيوية الأمريكية بالمنهج التوزيعي بالتحليل، لم يكن « بلو مفيلد» البنيوي الوحيد في اللسانيات الأمريكية، بل كان يقف إلى جانبه كل من «بواز» و«سابير»، «فبواز» درس في ألمانيا الذي كان تخصّصه الفيزيولوجيا، وتوصّل إلى نتيجة أنه لا

توجد شعوب متخلفة ولا توجد لغات متخلّفة، «تبنّى بلوم فيلد وجهة النظر السلوكية واختزلها بالاعتماد على طرفي المعادلة السلوكية في المثير والاستجابة التي تجسّدت في قصة «جاك وجيل» «Jack & Jill» والتفاحة. ورغم نظرته المتّسمة بالتجريد في هذا المقام إلا أنه اشتهر بها إلى جانب وصف الوقائع اللغوية وصفا بنيويا، وذلك في علم الصرف والنحو.»[16]

5. نبذة علمية عن بودوان اللّغوي:

يعدّ «بودوان كورتيني» من أهمّ الشخصيات داخل علم اللغة في القرنين التاسع عشر والعشرين. ينحدر من أسرة بولندية ذات أصل فرنسي، ولد سنة 1845 بالقرب من « وارسو» ، التي كانت ذات في بعتة أنذاك. _ في زمن عقب تقسيم بولندا ثلاثة أقسام- لامبراطورية القياصرة الروسية، درس في جامعة وارسو وحصل على الدكتوراه في «ليبزيج» ، درس في جامعات روسية (سان بطرسبورغ و كازان) وروسية، ألمانية (دوربت)، ونمساوية (كراكاف)، وآب وهو متقدم في السن سنة 1918 عائدا إلى الجامعة البولندية آنئذ في وارسو. فقد أحسّ «بودوان» دائما بأنه بولندي، ومن ثمّ عاش القسم الأكبر من حياته ممثلا للأقلية الوطنية، حيث يتّضح ذلك من ملامح كثيرة من شخصيته العلمية.

كان «بودوان» عالما في السلافية والهندوجرامنية ومنظرا لغويا، وأعماله التي كتب القسم الأعظم منها بالبولندية والروسية مبعثرة للغاية.[17] وقد صعب نشرها إلى حد ما في الفترات التي كانت متاحة فيها ولكون آرائه النظرية اللغوية بوجه خاص أيضا في بعض مؤلفات مكتوبة بالألمانية والفرنسية، فإنها كانت معروفة في الخارج معرفة ضئيلة إذا ما قدرت قيمتها، ولهذا السبب طالب «رومان جاكسون» سنة 1929 في تأبينه بكتاب عن «بودوان» على نموذج كتاب « هوجو شوشارت» الذي أصدره « ليوشبيتسر» ومع ذلك لم يظهر إلا سنة 1963 ، نشره بأعماله بالروسية في مجلدين، وفي سنة 1972 نشره بالإنجليزية، وبدءا من1974 نشره بالبولندية، وفي سنة 1984 نشر «جان موجدن» J.Mugdon»، بعض مقالات «بودوان» المكتوبة بالألمانية.[18]

6. مجالات البحث لدى بودوان دي كورتيني:

1.6. علم اللغة ومناهجه:

الفرضيات العشر التي جمعت واستيقـــــــت «كملحوظات عامة حول علم اللغة»، أخذها بعد حصوله على الدكتوراه في «ليبزج» مباشرة وعودته من ألمانيا.

أ- ليست النظرة الواصفة للغة نظرة علمية، بل ليس علميا سوى النظرة التاريخية

للغة، حيث قصد الطاقات والقوانين التي تعمل في اللغة، وتحدّد حياتها وتطوّرها.

ب- اللغة ليست كائنا حيا، بل هي أداة ونشاط ، لا تحيا إلا داخل حامليها.

ت- ينبغي أنْ يعاد بناء الصيغ الأصلية، بل يجب على الباحث أن يكون على يقين من أنّ إعادة البناء تؤدي إلى أبنية، وليس إلى صيغ لغوية واقعية.

ث- الفيصل هو النظرة النفسية: القياس هو العامل النفسي عند التطوّر الصوتي، إذ ليست واقعا من الناحية النفسية سوى لغة الفرد.

ج- كثير من باحثي اللغة يعدّ هذه المسائل من الأنثروبولوجيا وعلم النفس، غير أنه يتمّ ظهورها، لما كانت تستند إلى اللغة، يجب أن ينظر إليها من طرف علم اللغة أيضا، ويجب أن نخضع حقائق لحلها أكثر من يخضع لتاريخ اللغة.

ح- لم يؤكّد «بودوان» أهمية اللغة الحية لعلم اللغة فحسب بل درس هو نفسه اللغات الحية، يدلل على ذلك دراسته الحقلية التي مارسها لعقود في مجال علم اللهجات، وكذلك أعماله في علم وظائف الأعضاء الصوتية ولغة الأطفال وغير ذلك.

خ- اللغة بالنسبة «لبودوان ظاهرة نفسية ــ اجتماعية ، والأفراد الذين وهبوا القدرة اللغوية، يجب أن ينظر إليهم من جانب اجتماعي أيضا.[19]

د- وجوب التفريق بين الصوت والحروف، وللفصل نتائج أيضا بالنسبة للمورفولوجيا، حيث أن الصوت (المادة المجردة) الفونيم (الوحدة الصوتية)، وللفونيم لدى بودوان تفسير نفسي جد قوي.

ذ- الصوت والمعنى مرتبطان ارتباطا لا انفصام له، فلا يجب أن يبحث الشكل فقط، بل وظيفته كذلك.

ر- يوجد بالنسبة «لبودوان» ثنائيتان تعدان أساسيتين للنظر اللغوية، الأولى بين القدرة الإنسانية على الكلام واللغات المفردة، والثانية بين اللغة وبوصفها» طاقة كامنة» واللغة بوصفها عملية متكرّرة باستمرار في الفهم بين البشر .[20]

أشار «بودوان» إلى أنّه تتوفّر لدى أفراد الناس تشابه في الخصائص النفسية التي تضع أسسا لتحوّل اللغة بصفة عامة أو لغة قبلية أو شعب معين بالأخص، مفترضا وكأنّ الواقع البشري عن تكتلات اجتماعية ليس إلا.

2.6. علم الأصوات الوظيفي:

في سنة 1877 دون «بودوان» في تصوّره تحت « تصنيف اللغات» الموضوعات التالية:

هل توافق القرابة الجينية ضرورة الاتفاق في النمط المورفولوجي؟، ومبادئ التصنيف المورفولوجي، وقد تدرج الكمال، وهل التصنيف المورفولوجي ممكن بوجه عام؟، ومسألة اللغات الخليط.

حدد «بودوان» إجمالا لسلسلة محاضراته في كازان في نهاية السبعينات برنامجه في التصنيف:

1. يعنى التصنيف الأسري (إلى عائلات لغوية) وحده التخلي عن مقارنة لغات حديثة فيما يتعلّق ببنائها النحوي بشكل مستقل عن وجود القرابة اللغوية أو درجتها، فضلا عن ذلك اكتشاف فصائل لغوية عالمية في كل المستويات.

2. ليس بالضرورة أنّ اللغات ذات القرابة الأسرية تكون موحّدة في بنائها النحوي، فمثلا اللغة الفرنسية التي تميل إلى الإلصاق Agglutination في مقابل اللاتينية ذات النمط المتصرّف، والإنجليزية في مقابل لغات جرمانية أخرى، التي تقترب من العزْل كما في اللغة الصينية (التي ليست لها قرابة)إلخ.... ويعنى ذلك البحث السلالي (النسبي) والتصنيفي يجب أن يمارس كل منهما مستقلا عن الآخر.

3. طوّر «بودوان» نظرية اللغات الخليط «الهجين» بوصفها حجر الزاوية لتنميطه اللغوي، وقد صاغ «بودوان» ذلك قائلا: «كل اللّغات الموجودة والتي لها وجود في وقت ما نشأت على طريق الخلط، فاللغات الخليط هي أولا وسائل التواصل الطبيعية التي نشأت حقيقة من خلال الخلط، فمثلا عاشت الشعوب والقبائل، وتحيا في تجاور مباشر أو متداخلة أيضا، ويوجد على حدود الشعوب والقبائل ضرورة التعدّد اللغوي الذي يؤدي إلى الخلط «التّهجين اللغوي»، فحياة البدو والحملات الحربية والخدمة العسكرية بوجه عام، وسلب النساء والعبيد في القبائل المعتدية، وفيما بعد التجارة والتبادل العلمي ....إلخ، كل هذه العوامل مشجّعة على الخلط اللغوي، فمثلا البلغار السلاف إلى جوار اليونانيين والألبان والرومانيين والأتراك.

4. يظهر أنّ تأثير الخلط «التهجين» اللغوي في اتجاهين:

- **الأوّل:** يدخل الخلط في اللغة المعطاة عناصر لغة أجنبية مثل : (كلمات، واستعمالات نحوية أو صيغ، ونطق).

- **الثاني:** يكون السبب في تحقيق درجة الاختلاف وقوّته في أجزاء مفردة للغات المعطاة ذاتها.

من خلال تأثيره يطرأ تبسيط للصيغ وخلط (مزج) لها سريع للغاية، وتأثير

القياس، وفقدان التصريف، وإحلال صيـــــــــغ مع حرف محله، وفقد النبر المتحرّك المتشكّل مورفولوجيا...إلخ.

5. ينتج منطقيا موقف « بودوان» من تقويم اللغات إلى لغات أفضل، ولغات أسْوَء، ولغات أكثر تطوّرا، ولغات أقلّ تطورا، فمثلا افتراض أنّ اللغات الهندو أوروبية المتصرّفة هي قمّة الكمال، أنها فكرة متسرّعة ، إذْ يمكن أنْ يلاحظ الاختلاط المستمر للأنماط في كل مكان.[21]

6.3. علم الاجتماع اللغوي:

بداية من تزايد الاهتمام بالموضوعات الاجتماعية اللغوية لاحظ اللغويون أنّ «بودوان» قد أنجز في هذا المجال أعمالا تمهيدية مهمّة، فقد بحث التنوّعات الاجتماعية والاحتكاكات اللغوية ولغات الأقليات، حيث وفّرت له محطّات حياته الفرصة، فقد قابل هو نفسه بوصفه بولنديا في الإمبراطورية الروسية في»كازان» مثلا قوميات هندو أوروبية وتركية وفنلندية، كانت لغة التعليم في هذه الجامعة في أقصى شرق روسيا بمرسوم / هي الروسية.

يجب أنْ يذكر في هذا السياق أن» بودوان» طالب سنة 1912 بأكاديميات علمية للبلدان السلافية لتنسيق بحوثها اللهجية، حتى يمكن إنشاء خرائط لغوية على هذا الأساس، وفيما بعد أُيِّد هذا الإيعاز، إذ يجرى العلم في الأطلس اللغوي السلافي.

كانت دراسة «بودوان» أيضا دافعا ومادة أساسية لبحوثه في التنميط بمفهوم «اللغات الخليط»، فقد صارت بذلك عبر توثيق محض للموقف اللغوي في منطقة جغرافية أساس بناء النظرية أيضا.[22]

7. بودوان كورتيني ونظرته للفلسفة:

إذا أردنا أن نفهم تصوّر «بودوان» اللساني يجب أنْ نلتفت إلى نظريته ذات المغزى الكبير، شاء ذلك أمْ أبى، فإننا نجد في أعماله قاعدة فلسفية، زد على ذلك أن «دي كورتيني» اعتبر اللسانيات فلسفة اللغة، كان يرتكز معظم لغويو القرن التاسع عشر على الفكرة المهيمنة للفلسفة المثالية مقحمين في اللسانيات النزعة النفسية، وذلك تطبيقا لها. لذا كانت نظريتهم ومنها نظرة « بودوان دي كورتيني» دون تفصيل في دراسة تتصف بالطابع المثالي الذاتي.

8. خاتمـــــة:

انطلاقا من تفسير اللغة عن طريق اللسانيات المعاصرة يمكن التحدّث على أنّ

فهم اللغة كنظام وفهم تعدّد أسباب التحولات الصرفية وتصنيف اللغات كلها أسست مجموعة من القضايا والإشكاليات العامة والتي لقيت حلولا في دراسات ممثلي مدرسة قزان اللسانية والتي أثّرت تأثيرا عظيما في ظهور التيارات البنيوية المعاصرة، وفي مقالة « أصول البنيوية» للغوي السويسري «كولينـدر» «Kollinder» يقول فيها: «من الممكن القول أن لغويو قزان الشباب كوّنوا طليعة البنيوية المعاصرة.»[23] أما العالم المشهور «صومرفت» «Sommerfelt» فيشير إلى أن «ف. دي سوسير» و «بودوان دي كورتيني» يعتبران الملهمان المباشران للبنيوية المعاصرة.»[24]

إذن من المستحيل عدم الاقتناع بهذا التقييم الذي يستحقّ الانتباه لنشاط ممثلي مدرسة قزان اللسانية الذين دوّنوا صفحات رائعة في تاريخ اللسانيات الروسية والعالمية. محبذا بذلك التحدّث عن «حلقة قزان اللسانية» كانت لدراسة القضايا الأساسية للنظرية اللسانية، من طرف أحسن ممثلي مدرسة قزان اللسانية تأثيرا مباشرا على التطوّر المتواصل للسانيات.

هوامش المقال:

(1) الرافعي مصطفى، تاريخ آداب العرب، ج1، دار الأصـــالة ، الجزائر، ط1، 2009، ص: 34 .
(2) المرجع نفسه، ص: 34 .
(3) مؤمن أحمد، اللسانيات، النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط5، 2015، ص: 12.
(4) المرجع نفسـه، ص: 15.
(5) المرجع نفسه، ص: 28.
(6) الرافعي مصطفى ، تاريخ آداب العرب، ص: 277 .
(7) المرجع نفسه، ص: 277.
(8) De Saussure , course intégral linguistics (1916) wade baskins trantation, 1974, P :xiv.
(9) مؤمن أحمد، اللسانيات، النشأة والتطور، ص: 124.
(10) الحاج صالح عبد الرحمن، مجلّة اللسانيات، المجلد الثاني، العدد الأول، الجزائر، 1972، ص ص: 39 - 54.
(11) دي كورتيني بودوان، مجموعة مؤلفات حول اللسانيات العامة، ج1، موسكو، د.ط، 1963.
(12) حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفّظ وتداولية الخطاب، الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، ط2، 2012، ص: 66.

(13) المرجع نفسه، ص: 66.

(14) O. Ducrot.T.Todorov, dictionnaire encyclopedique des sciences du langage , éditions du seuil, paris, 1972.

(15) الحناش محمد، البنيوية في اللسانيات، ج1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1980، ص: 230.

(16) حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفّظ وتداولية الخطاب، ص: 70.

(17) لم يلق اهتماما في الأوساط العلمية وإن كان في منزلة «دي سوسير»، لأنّ مؤلفاته ظلت مبعثرة، ولم يبدأ الاهتمام به، وبخاصة من الروس إلا بعد إدانة مار، وبعد رفع الحظر اللغوي أو بالأحرى العقائدي عند فونولوجيا « تروبتسكوي»، وبدأت أفكاره تزدهر فيما بعد في الغرب، ونشر أحد أتباعه وهو «ف. شيربا» (Scerba) مقالة تحت عنوان « بودوان دي كورتيني وأهميته بالنسبة لعلم اللغة.»

(18) حميدي محي الدين، الألسنية واللغة العربية، دراسة تحليلية تطبيقية لنظرية الحكم النحوي والربط على اللغة العربية، كتاب الرياض، العدد 40، أبريل 1997.

(19) مونان جورج، علم اللغة في القرن العشرين، تر: نجيب غزاوي، مؤسسة الوحدة ، دمشق، د.ط، د.ت، ص: 49.

(20) بودوان دي كورتيني، مجموعة مؤلفات حول اللسانيات العامة، ج1 - 2 .

(21) مونان جورج، علم اللغة في القرن العشرين، تر: نجيب غزاوي، مؤسسة الوحدة ، دمشق، د.ط، د.ت، ص: 49.

(22) بارتشت بريجبيته، مناهج علم اللغة)من هرمان بأول حتى ناعوم تشومسكي(، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004 ، ص: 77.

(23) Kollinder B., Les origines du structuralisme, acta univeritatis uppsa la 1962, P. 13.

(24)جان كالفي لويس، علم الاجتماع اللغوي، تر: محمد يحياتن، دار القصبة ، الجزائر، د.ط، 2006، ص: 24.